نصوص تطبيقية في مادة النص الأدبي المعاصر.

للسنة الثانية ليسانس دراسات أدبية.

د: جمال سفاري.

- نموذج تطبيقي حول قصيدة النّثر.

1. نبذة عن حياة الشّاعر اللّبناني أنسي الحاج.

- ولد عام 1937م. أبوه هو الصحافي والمترّجم "لويس الحاج" وأمه "ماري عقل"، من قيتولي، قضاء جزّين.
- تعلّم في مدرسة الليسه الفرنسية ثم في معهد الحكمة...وتوفي في 18 فبراير 2014م.

- أعماله الصحفية والأدبية.

- بدأ ينشر قصصاً قصيرة وأبحاثاً وقصائد منذ 1954 في المجلّات الأدبية وهو على مقاعد الدراسة الثانوية.
- دخل الصحافة اليومية (جريدة" الحياة "ثم" النهار ("محترفاً عام 1956، كمسؤول عن الصفحة الأدبية. ولم يلبث أن استقر في "النهار" حيث حرّر الزوايا غير السياسية سنوات ثم حوّل الزاوية الأدبية اليومية إلى صفحة أدبية يومية.
- عام 1964 أصدر "الملحق" الثقافي الاسبوعي عن جريدة النهار وظلّ يصدره حتى 1974. وعاونه في النصف الأول من هذه الحقبة شوقي أبي شقرا.
- عام 1957 ساهم مع يوسف الخال وأدونيس في تأسيس مجلة شعر وعام 1960 أصدر في منشوراتها ديوانه الأول" لن"، وهو أول مجموعة قصائد نثر في اللغة العربية.
- تولّى رئاسة تحرير العديد من المجلات إلى جانب عمله الدائم في "النهار"، وبينها" الحسناء 1966 "و"النهار العربي والدولي" بين 1977 و1989.
- نقل إلى العربية منذ 1963 أكثر من عشر مسرحيات لشكسبير ويونيسكو ودورنمات وكامو وبريخت وسواهم، وقد مثلتها فرق مدرسة التمثيل الحديث) مهرجانات بعلبك(، ونضال الأشقر وروجيه عساف وشكيب خوري وبرج فازليان.
- رئيس تحرير "النهار" من 1992 إلى 30 أيلول 2003 تاريخ استقالته.
- يعدّ أنسي الحاج من روّاد" قصيدة النثر "في الشعر العربي المعاصر.

- مؤلفاته

- ديوان " لن" /1960

- ديوان "الرأس المقطوع"/196
- ديوان " ماضي الأيام الآتية"/1965
- ديوان " ماذا صنعت بالذهب، ماذا فعلت بالوردة؟"/1970
- ديوان "الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع"/ 1975
- ديوان "الوليمة"/ 1994
- كتاب "كلمات كلمات كلمات" / ثلاثة اجزاء/مقالات/ 1978
- كتاب "خواتم"/جزآن/1991 و 1997. هو كتاب في التأمل الفلسفي والوجداني. و"خواتم "الجزء الثالث قيد الإعداد.
- أنطولوجيا "الابد الطيّار" بالفرنسية في باريس عن دار "أكت سود" عام 1997
- أنطولوجيا " الحب والذئب الحب وغيري" بالألمانية مع الاصول العربية في برلين عام 1998.
- في نيسان 2007 صدرت الأعمال الكاملة لأنسي الحاج في طبعة شعبية، في ثلاثة مجلدات ضمن سلسلة ''الأعمال الكاملة'' عن ''هيئة قصور الثقافة''. ضمّ المجلد الأوّل: ''لن''، و''الرأس المقطوع''، و''ماضي الأيام الآتية''. والثاني'' :ماذا صنعت بالذهب، ماذا فعلت بالوردة؟'' و''الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع'' و''الوليمة''. فيما حوى الثالث كتاب ''خواتم'' بجزأيه.
- ترجم إلى العربية أكثر من عشر مسرحيات لشكسبير ويونيسكو ودورنمات وكامو وبريخت وسواهم، وقد مثلتها فرق مدرسة التمثيل الحديث (مهرجانات بعلبك)، ونضال الأشقر وروجيه عساف وشكيب خوري وبرج فازليان.

2. نص قصيدة "شتاء الحاج"، للشّاعر أنسي الحاج.

حين أسمعكِ أيتها الأنغامُ، حين أقف، حين أتربَّص بكِ

أيتها الرسومُ ذاتُ الأصداء

حسدي يعلو غَرَق اللذَّة،

ويُقال لي: الوقتُ الذي سبقني طعنني في ظهري!

وكفتاةِ أعمالٍ

عيناها جدولٌ من الجَلْدِ

وكفتاة أعمالٍ عيناها أوسعُ من التاريخ الحيّ

أقذف القائلَ كما فتاة الأعمالِ تقذف خادمَ القهوةِ

الصغيرِ

من رأس الدَّرَج

وينكبّ الماءُ الساخن على عينيه وبطنهِ

ويجلدها تعذيبه

لأنه حمل القهوةَ في وقتٍ كانت تريد إما أنا أو

رأسي.

لي صديقٌ «يتونّس» بقنديلٍ

(بمصباح كهربائي كالقنديل)

على مكتب منظّم بالفراغ والأسماء

ويبدو طيّباً وسطَ المدينة.

لا يقرأ الكتبَ المحرَّمة

تراقبه أيقونةٌ بيزنطيّة

كأنما هو شهرُ مريمَ

يتكرَّم عليَّ بصوت مُبَطَّن بالمعاطف وكرافعةِ

الأثقالِ

يبعدني بعيداً ولا يطلب قرشاً

وعندما يطوف الجميعُ بشتائمي

يمرّونَ

فألفّه بالقطن وأحجزهُ

خلف أذني.

مهما كان

ورغم الأحلامِ المغبّشةِ التي أدهمها فجأةً

فكما أن لي صديقةً هي فتاةُ أعمالٍ وانتهى الأمرُ

وكما أن لي صديقاً حجزتُه وراء أذني وانتهى الأمرُ

وكما أني على يديَّ أحمل غيري

وانتهى الأمرُ

وكما أني قبل هذا قلتُ هذا وغيره وانتهى الأمرُ

يمكن أنّ ما أحلم به لن

أُحقّقَه

لأن يدي

من حين إلى حين في الشتاء خاصّةً

تترك أحمالها وتصبح رشيقةً

تصبح ولدي

وتأخذ عطلةً

وتعطيني من وقتها فتحمل

منّي

ورقةً أو دفتراً

دويُّه الماحي نظري

يختنق جهراً!

3. تحليل قصيدة "شتاء الحاج" للشّاعر أنسي الحاج.

نتوقّف في معالجتنا لهذا النّص عند مجموعة من الظّواهر الأدبية، منها:

أ- الايقاع.

جانب الإيقاع من الأمور التي طالها التّجديد في القصيدة العربية المعاصرة، لذلك نجد أنّ هذه القصيدة تفتقر لايقاع خارجي واضح، فلا وزن يحكمها، ولا روي مطّرد فيها، ولا قافية ثابتة. وبدلا من ذلك يسري فيها إيقاع داخلي يتراءى من العناصر التّالية:

- التكرار: الذي أدّى دورا ايقاعيا ودلاليا: كما في ترديده لعبارة: "كفتاة أعمال"، وقوله: "انتهى الأمر"، المكررة أربع مرات.

- توزيع الأحرف المجهورة والمهموسة الذي يختلف من مقطع لآخر، غير أن الغالب في القصيدة هي أصوات الجهر، وخاصة منها: القاف، الجيم، الطّاء، الرّاء. وهو ما يوحي بقوة الطّرح، والايمان العميق بما يطرحه الشّاعر من معاني في هذه القصيدة.

- التوازي التركيبي الوراد في مجموعة من الجمل، الدّال على عبثية انتظام الأشياء في حياة الشّاعر، وعدم جدوى المواجهة بينه وبين من يخالفه الرّأي، وذاك في مثل قوله:

فكما أنّ لي صديقة....

وكما أنّ لي صديقا...

وكما أني على يدي أحمل ....

وكما أنّي قبل هذا قلت...

- أخيرا، الايقاع الدّاخلي في القصيدة، وهو من أهم العناصر التي عوّض بها الشّاعر المعاصر الإيقاع الخارجي، وهو إيقاع لا يمكن الإمساك به، أو قياسه؛ وإنّما نتحسّسه من لغة الشّاعر ومعانيه. وهو في القصيدة إيقاع حزين يوحي باليأس المطبق الذي يعانيه الشّاعر.

ب- لغة القصيدة.

- لغة الشّاعر سهلة، بسيطة، ومتداولة، ولكنّها مكثفة بما تستبطنه من دلالات متعدّدة وعميقة، ومن ذلك ما جاء في قوله: (لا يقرأ الكتب المحرمة)، (تراقبة أيقونة بيزنطية). لكنه يعمد في بعض الأحيان إلى لغة مسترسلة يعلوها الإطناب؛ كما في قوله:

لي صديق يتونّس بقنديل.

بمصباح كهربائي كالقنديل.

وهو في هذه الحالة ينساب مع أفكار إضافية يرى ضرورة الإفصاح عنها. وهو ما يجعل دلالات القصيدة لا نهائية، ولكن يمكن استشفاف أن مدارها كنايةٌ عن حالة (اجتماعية/ فكرية) متدهورة يعيشها الشاعر ويعرضها من صراعات متعددة:

- صراع الفتاة مع خادم القهوة.
- صراع الصاحب مع الايقونة البيزنطية.
- صراع الشّاعر نفسه مع من شتمه.

وتنتهي هذه الصراعات كلها بإقرار أن ما يحلم به صعب التحقيق؛ لقوله: "يمكن أن ما أحلم به لن يتحقق". وما ترديده لعبارة "وانتهى الأمر" إلا دلالة اليأس وفقدان الأمل. وعليه يمكن التّأكيد أن دلالات القصيدة موزّعة بين ثلاث بؤر دلالية هي:

- الشّاعر وفتاة الأعمال.
- الشّاعر والصّديق.
- الشّاعر وأحلامه.
- **الوحدة العضوية:**

من سمات التّجديد الماثلة في هذه القصيدة، يمكن الحديث عن عنصر الوحدة العضوية المتحقّقة من وحدة الشّعور النّفسي الذي يغشى القصيدة، ومن وحدة موضوعها. كما تتحقّق هذه الوحدة، كذلك، من خلال حفاظ الشّاعر على عناصر سردية ثابتة في القصة تتضمنها القصيدة؛ وهي الشّخصيات، التي شكّلت رابطا يشدّ الأفكار بعضها إلى بعض. إضافة إلى النسق المتسلسل للأحداث والعواطف فيها.

- **الايجاز والكثافة:**

الايجاز والتّكثيف من سمات القصيدة المنثورة، وهما عنصران متحققان من معظم تعابير الشاعر، إلى درجة أدّت إلى غموض المعاني المراد الإبلاغ عنها. ولا شك أنّ القراءة الأولى للقصيدة تتطلّب قراءات أخرى من أجل الظّفر ببعض مراد الشّاعر.

- **البناء الدرامي في القصيدة:**

القصيدة تحكي مشاهد قصصية يغلب عليها السرد باستخدام ضمير الغائب "هو" ويتداخل فيها السرد (سرد الأحداث) ما يؤدي إلى فوضى في المعاني، وفي عرض الأحداث نفسها؛ يقول الشّاعر:

أقذف القائل

كما فتاة الأعمال تقذف ...

لاحظ كيف يتفلّت الشّاعر من سرد الحدث الأوّل، ويسترسل في التّعبير عن حدث مغاير.

- **الصّورة الفنية:**

من أهم التّقنيات التّصويرية الموّظفة في هذه القصيدة نذكر المفارقة التّصويرية التي تظهر، مثلا، في عرض حالتي الفتاة: الباغية، الظالمة، من جهة؛ والفتاة الضحية من جهة أخرى.

ففي الوقت الذي "تقذف [فيه] خادم القهوة..." يجلدها تعذيبه.

كما تظهر المفارقة في وصفه للمكتب المنظم بالفراغ: " على مكتب منظم بالفراغ والأسماء ".

كما حوت القصيدة مجموعة من الرموز منها: رمز الطّهر "شهر مريم"، ورمز الغطرسة واللّانظام "أيقونة بيزنطية"، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الانزياحات التي تخرق أفق انتظار القارئ، كما في قوله: "يتكرم عليّ بصوت مبطن بالمعاطف".